

التماسك النصي (Cohesion)

د. فاطمة جخدم

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة عمار ثليجي (الأغواط) - الجزائر

1. تمهيد:

يمثل "التماسك النصي" موضوعا جديدا في مجال اللسانيات النصية، وهو - بذلك - يحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة حتى تتضح معالمه وتستقر. وتحاول هذه الدراسة توضيح بعض تعريفاته، وأهم القوانين التي تحكمه، انطلاقا من دراسة اللغويين للنص، بوصفه: بنية مركبة متماسكة ذات وحدة كلية شاملة، مما يعني أن التماسك عنصر جوهري في تشكيل النص؛ إذ هو "مجموعة من العلاقات اللفظية أو الدلالية بين أجزاء النص؛ يتماسك بعضها مع بعض، فإذا غاب هذا الالتحام، ظهر النص، وكأنه أشلاء ممزعة لا رابط بينها"⁽¹⁾.

فالتماسك - إذا - يعني: وجود علاقات منطقية أو أدوات شكلية تسهم في الربط بين الكلمات الداخلة، وبين النص، والبيئة المحيطة به، فيهتمّ بالعلاقات بين أجزاء الجملة الواحدة، وعلاقتها ببقية الجمل داخل النص، ذلك أنّ المعنى لا يأتي من تراصف الكلمات - كيفما جاء واتفق - بل يجب أن تتألف وفق قانون التراصف، الذي يسهم في إكمال الدلالية النهائية.

ولأهمية "التماسك النصي"، فقد نال اهتماما كبيرا من علماء النص، بداية من توضيح مفهومه، مروراً ببيان أدواته ووسائله وعوامله وشروطه، إلى جانب السياق المحيط بنصه. كما تبرز أهميته في: أنّ الكلام لا يكون مفيدا إلا إذا كان مجتمعا بعضه مع بعضه الآخر

في ترابط، وعليه تكمن أهميته في الإفادة، والتوضيح، وأمن اللبس وعدم الخلط، تحقيقا لثبات عناصر الجملة*، وسيأتي تفصيل هذا فيما يأتي:

2. مفهوم التماسك النصي: (Cohesion)

يأتي التماسك في اللغة مقابلا للتفكك، ويعني: الترابط التام، والشدة والصلابة. يقول الزمخشري: "امسك الحبل وغيره، وأمسك بالشيء، وتمسك، واستمسك، وامسك، وامسك عليك زوجك، وأمسكت عليه ماله: حبسته. وأمسك عن الأمر: كف عنه. وامسكت، واستمسكت، وتماسكت أن أقع عن الدابة وغيرها..".⁽²⁾

أما في الاصطلاح، فإنه - كما يراه هاليداي، ورقية حسن - Halliday .r. Hassan -: تلك "العلاقات النحوية أو المعجمية بين العناصر المختلفة في النص، وهذه العلاقة تكون بين جمل مختلفة، أو أجزاء مختلفة من الجملة"⁽³⁾

أما (سعد مصلوح)، فبعد أن ترجمه بمصطلح "السبك"، خصّصه بالوسائل التي تتحقق بها الاستمرارية في ظاهر النص؛ أي: الأحداث اللغوية التي نطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني، أو التي نخطّها أو نراها بما هي كمّ متصلّ على صفحة الورق، وهذه الأحداث ينتظم بعضها مع بعض تبعا للمباني النحوية، ويجمع هذه الوسائل مصطلح عام هو الاعتماد النحوي - Grammatical dependency، حيث يتحقق في شبكة هرمية متداخلة من الأنواع: في الجملة الواحدة - فيما بين الجمل - في الفقرة أو المقطوعة - فيما بين الفقرات أو المقطوعات - في جملة النص.

1.2. أنواعه:

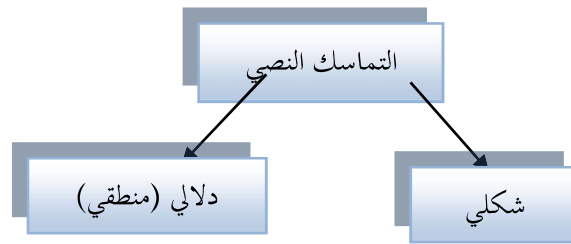
ينقسم التماسك إلى نوعين:

1.1.2. تماسك شكلي: يهتم بالعلاقات الشكلية؛ أي: بما يحقق التواصل الشكلي للنص؛ حيث يكون ظاهراً محسوساً داخل التركيب، ولولاه، لما أصبح هناك نص.

2.1.2. تماسك دلالي (منطقي): يهتم بالعلاقات الدلالية بين أجزاء النص من ناحية، وبين النص، وما يحيط به من سياقات، من ناحية أخرى.

وعلى هذا، فالتماسك لا يقتصر على الأدوات الشكلية فحسب، بل يعتمد - كذلك - على ما بين العناصر المختلفة، داخل الجملة أو الفقرة أو النص عبر علاقات متنوعة، وضياع أي عنصر من هذه العناصر قد يؤدي إلى تفكك النصوص إلى عناصر لا رابط بينها، وقد يؤدي إلى غموض النص، وهذا ما أكدّه الجرجاني في قوله: "... وأعلم أنّك إذا رجعت إلى نفسك، علمت علماً لا يعترضه الشكّ، أنّ لا نظم في الكلم، ولا ترتيب حتى يعلّق بعضها ببعض، ويبيّن بعضها على بعض، وتُجعل هذه بسبب من تلك" (4).

ومن علماء اللغة من يردّ التماسك بين الجمل إلى التماسك بين الظروف المحيطة بها، حيث "ترتبط العبارتان فيما بينهما، إذا كان مدلولهما؛ أي: الظروف المنسوبة إليهما في التأويل، مترابطة فيما بينهما" (5).



2.2. أدواته:

يجمع علماء النص أن النص وحدة دلالية مترابطة الأجزاء، حيث إنّ الربط بين جمل النص ومقاطعته، يحصل بجملة من الوسائل المختلفة في طبيعتها ووظائفها ومعانيها، "ومردّ هذا الاختلاف: تنوّع العلاقات الداخلية للنص، لذلك فمن الربط ما يتمّ بوسائل دلالية أو معنوية مثل: التكرار والاستبدال وغيرهما، ومنه ما يتمّ بواسطة أدوات معروفة مثل: الواو، والفاء، وثم، وغيرها.." (6).

أولاً: التكرار: Repetition:

هو شكل من أشكال الاتساق المعجمي، الذي يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو إيراد مرادف له، أو شبه مرادف (7). إنّ عملية إعادة جزء من أجزاء الكلام، وهذه الإعادة إما أن تكون باللفظ والمعنى، أو بالمعنى دون اللفظ.

ويعدّ التكرار من أهم أركان التركيب اللغوي، الذي يعطي للجملة فوائد جمالية ودلالية؛ لتغطّي أكبر قدر ممكن من المعنى. وقد عرفه (الزركشي) بأنه: التريّد والإعادة، وقد عدّه من أساليب الفصاحة قائلاً: "وقد غلط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة ظناً أنّه لا فائدة منه، وليس كذلك، بل هو من محاسنها، لاسيما إذا تعلّق بعضه ببعض" (8).

2.2.1.1. أنواع التكرار:

إنّ أنواع التكرار كثيرة في كتب البلاغة والنحو، ومثله في كتب التفاسير، وقد خاض الباحثون في هذه المسألة حتى أصبح لكل واحد منهم أنواعه، على حسب الحال، والتخصّص الذي يعمل فيه، فيكون التكرار في الحروف، والكلمات، والعبارات، والجمل، والفقرات، أو في القصص *، وعليه، نخلص إلى أن التكرار نوعان:

2.2.1.1.2. تكرار جزئي (Repetition partial):

ويقصد به: ما يتكرر به في جزء صغير في نطاق الكلمة..

2.1.1.2.2. تكرار موضوعي (Subjective repetition):

ويقصد به: أن يتكرر الموضوع في مواقع معينة في النص، مرتبطا ببنائه الهندسي، فيكون بمثابة محطة تجتمع عندها الموضوعات المختلفة⁽⁹⁾.

وقد تنبّه (الرجاني) إلى مسألة تماسك التركيب داخل النص، حينما أشار إلى ملائمة الكلمات لمعانيها التي قبلها، والتي بعدها، فيقول: "فقد اتّضح - إذاً - اتّصاحا لا يدع للشك مجالا، أنّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأنّ الألفاظ تثبّت لها الفضيلة، وخلافها، في ملائمة معنى اللفظة، التي تليها أو ما أشبه ذلك، مما لا تعلق له بصريح اللفظ"⁽¹⁰⁾.

ونجد القرآن الكريم قد اهتم بالجانب الفني والتناسقي، مثلما اهتم بالجانب الدلالي، فمثلا: نجد، في قصة النبي موسى (عليه السلام)، أنّ المعاني ترد مكرورة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، ويعود ذلك إلى تركيزه على الدلالات اللاحقة، قصد إبعاد شبح الملل، وجعل المحادثة الواحدة تُتصوّر بطرق مختلفة.

فتكرار ذكر "النعم" - مثلا - عدة مرات متباعدة في آيات النص القرآني، الموجه إلى بني إسرائيل، أسهم في عدم نسيان المتلقي ذلك، نجد هذا واضحا، ومنتشرا بين عدة مواضيع في سورة البقرة. ففي قوله تعالى ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُون﴾ [البقرة: 39] يكرر القرآن هذا التركيب في موقع لاحق، وباللفظ نفسه، بعد عدة آيات في قوله تعالى ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَيُّ فَضْلَتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: 121]. فكان لتكرار هذه الآية وظيفة الربط بين ما تقدم من ذكر النعم، وما يليها، إعلامًا منه بأنّ النعم مستمرة عليهم، فجاء التذكير الأول مجملا، والتذكير الثاني مفصلا، في حين كان

التكرار الثالث من السورة نفسها، في قوله تعالى ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: 121]، تعزيزا للتماسك فيها. يقول صبحي الفقي في هذا "... وفعالية تكرار الكلمات، والعبارات، والجمل، والفقرات - أحيانا - تظهر على مستوى السورة الواحدة، مثل تكرار لفظ الجلالة، أو فعل القول... الخ...، وذلك حتى يظهر التماسك النصي على مستوى هذه السورة، أما تكرار القصص، فأثّه لا يحدث على مستوى السورة الواحدة، بل يتعداها إلى التكرار على مستوى السور، وذلك مثل: تكرار قصة سيدنا آدم (عليه السلام) مع ربه، ووسوسة إبليس لآدم، ومثل قصة موسى (عليه السلام) مع فرعون، وقومه... الخ...، ونعد ذلك نوعا من التماسك"⁽¹¹⁾.

2.2.2. الإحالة - Reference:

درس نحاة العربية القدماء الإحالة، فتكلموا عن: "الإحالة بالضمير"، وعن قرينة الرتبة في تحديد عائده المتقدم أو المتأخر. وقد أشار (سيبويه) إلى وظيفة الأسماء المبهمة، التي تمتلك صفة الإحالة بقوله: "فأما المبني عليه الأسماء المبهمة، فقولك: "هذا عبد الله منطلقا" (...)، فهذا اسم مبتدأ ليبني عليه ما بعده، وهو "عبد الله"، ولم يكن هذا كلاما حتى يبني عليه، أو يبني على ما قبله"⁽¹²⁾.

وتتضح عناية العرب - كذلك - بالإحالة، عند الكلام عن المواضع التي يعود فيها الضمير على متأخر لفظا، ورتبة. وقد عدّها (ابن هشام) في صورة:

- أن يكون مرفوعا بـ (نعم) أو بـ (بئس)، نحو: "نعم رجلا زيدا"؛

- أن يكون الضمير مرفوعا بأول المتنازعين، المعمل ثانيهما، مثل: "جفوني، ولم

أجف الأخلاء"؛

- أن يكون مخبرا عنه؛ فيفسره خبره، مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ [الأنعام: 30]

- ضمير الشأن، والقصة، نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1]؛

- أن يجرى بـ (ربّ)، مفسرا بتمييز، مثل: "ربه امرأة"؛

- أن يكون متصلا بفاعل متقدم، ومفسره مفعول مؤخر، مثل: "ضربته زيدا"⁽¹³⁾.
أما الإحالة عند علماء النص، فهي من أهم وسائل الربط، التي يحقق بها النص تماسكه والتحامه، وهي علاقة قائمة بين الأسماء والمسميات؛ تتأسس على العملية التي بمقتضاها، تحيل اللفظة المستعملة على لفظة متقدمة عليها؛ فالعناصر المحيلة - كيفما كان نوعها - لا تكتفي بذاتها، من حيث التأويل؛ إذ لا بدّ من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها.

1.1.2.2.2. أقسام الإحالة:

تنقسم الإحالة - حسب هاليداي، ورقية حسن Hassan .r. Halliday - إلى قسمين رئيسيين:

إحالة مقامية (خارج - نصية): تحيل إلى خارج النص، بحيث تسهم في خلق النص؛ كونها تربط اللغة بسياق المقام، إلّا أنّها لا تسهم في اتساقه إسهاما مباشرا.
إحالة نصية: (داخل - نصية): تحيل إلى داخل النص، فتسهم في تحقيق تماسك النص؛ كونها تحيل إلى نسقه الداخلي، وهي تنفرّج - بدورها - إلى قسمين:

1.2.1.1.2.2.2. إحالة قبلية (متقدمة) Oamopharic:

وهي تعود على عنصر سبق ذكره، والتلقّظ به، وهي أكثر شيوعا في الكلام.

2.2.1.1.2.2.2. إحالة بعديّة (متراجعة) Cotaphoric:

تعود على عنصر مذكور بعدها، ولاحق عليها، وكلٌّ منها له دور بارز في ظهور أجزاء النص متراسة من حيث دلالة التركيب⁽¹⁴⁾.

فالإحالة "البعديّة" تؤدي دورا وظيفيا في تلاحم النص، عبر الإشارة لما سبق من كلام، في بداية الحديث أو وسطه، والتعويض عنه بالضمير، بينما تشغل الإحالة المتقدمة حيزا لا يقل أهمية عن قرينتها، وتتمثل في: توظيف "ضمير الشأن"، نحو قوله - تعالى -: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:1]. فضمير الشأن "هو" إشارة فيما بعد إلى لفظ الجلالة، الذي هو "أحد"، لا شريك له⁽¹⁵⁾.

2.1.2.2.2. العناصر الإحالية:

تسهم الوحدات اللغوية - أو كما سماها اللغويون بـ "العناصر الإحالية" - في تحقيق تماسك النص ووحدته، وهذه العناصر تتمثل في: الضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة..

1.2.1.2.2.2. الضمائر:

تعدّ الضمائر من أبرز وسائل التماسك النصي، لما لها من أهمية في تحقيق تلاحم النص واستمراريته؛ وقد تحدّث علماء اللغة - قديما وحديثا - عن أهمية مرجعية الضمير القبليّة والبعديّة، والخارجية والداخلية، والربط بين الأجزاء الداخلية من ناحية، وبين الداخلية والخارجية من ناحية أخرى؛ فنجد (سيبويه) قد تحدّث عن التماسك، على مستوى الجملة، كقوة التماسك - مثلا - بين (المبتدأ)، والمبني عليه، و"أنّ المبني عليه (هو).." ⁽¹⁶⁾

أما (ابن هشام)، فقد قدّم مادة غزيرة ترتبط بالمرجعية القبليّة والبعديّة، وترتبط بمواضع وجوب الرابط، وكذلك ما يحتاج إلى الرابط، ضمّن كلّ هذا في "مغنيّه"، تحت عنوان "روابط الجملة بما هي خبر عنه"⁽¹⁷⁾. ومن الروابط التي ذكرها:

- الضمير: وهو الأصل، كقولك: "الطالب كافأته".

- الإشارة: نحو قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: 1، 2].

- إعادة المبتدأ بلفظه: وهو (التكرار) كقوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: 29].

- إعادة المبتدأ بمعناه: نحو: "زيد جاءني أو عبد الله"، إذا كان عبد الله كنية له.

- العطف: العطف بالفاء (جملة ذات ضمير على جملة خالية منه، أو بالعكس)، نحو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج: 61]؛ فالفاء - هنا - حققت تماسكا شكليا، ودلاليا؛ فالشكلي: كون الفاء عاطفة جملتين، ودلاليا: كونها ربطت بين السبب والنتيجة (فالأرض لا تصبح مخضرة إلا بفعل نزول الماء)، والعطف بالواو، نحو: "زيد، قامت هند، وأكرمها (...)" بناء على أنّ الواو للجمع، فالجملتان كالجملة⁽¹⁸⁾

أمّا عند علماء النصّ المحدثين، فالضمائر الأساسيّة المؤدية إلى التماسك، على مستوى سطحية النص، يسميها كلّ من: هاليداي، ورقية حسن: "أدوارا أخرى" - "Oulnever voles"، وتشمل: ضمائر الغائب: أفراد، وتثنية، وجمعا. وهي التي تستعمل ضمن إطار الإحالة القبليّة، ويتجلى دورها في: الربط بين المتتاليات النصيّة، وتوطد العلاقات بين مختلف أقسام النص⁽¹⁹⁾

2.2.1.2.2.2. أسماء الإشارة:

هي "مفهوم لساني، يجمع كلّ العناصر اللغوية التي تحيل - مباشرة - على المقام، من حيث: وجود الذات المتحدثة، أو الزمن، أو المكان.." (20). وتتحدّد دلالة العناصر الإشارية بـ "المقام الإشاري"، وهي لا تحمل معنى مستقلا بذاتها، ما لم يشير إليه. ووظيفتها تعويضية؛ أي: تقوم مقام الأسماء، وتتضمّن محتوى ما تشير إليه.

وللإحالة بالإشارة مستويان، يتمثلان في:

- القرب: ويكون بواسطة أسماء الإشارة، المعبر عنها بـ: "هذا"، "هذه"، "هذان" ..

- البعد: ويكون بـ: "ذلك"، وفروعه.

ويقترح البلاغيون مستوى ثالثا، هو المستوى الذي يذكر فيه بحذف اللام من اسم الإشارة، التي تصبح - بعد حذفها -: "ذاك". ويوافقهم، في ذلك، جمهور النحاة. يقول ابن عقيل: "والجمهور على أن اسم الإشارة ثلاث مراتب: قرى، ووسطى، وبعدي، فيشار إلى من في (القرى) بما ليس فيه كاف، ولا لام، كـ "ذا"، و"ذي"، وإلى من في (الوسطى) بما فيه الكاف وحدها، نحو: "ذاك"، وإلى من في (البعدي) بما فيه كاف، ولاّم، نحو: "ذلك".." (21).

3.2.2. ثالثا: الحذف - Suppression-ellipsis:

جاء في المعنى اللغوي للحذف: إنّه القطع من الطرف خاصة، والطرح، والإسقاط (22). أما في معناه الاصطلاحي: فهو استبعاد العبارات السطحية، التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن، وأن يوسّع، وأن يعدّل بواسطة العبارات الناقصة (23)، فهو علاقة داخل النص، وفي معظم الأمثلة، يأتي العنصر المفترض في النص السابق، وهذا يعني: أنّ الحذف - عادة - علاقة قبلية، مثال ذلك:

- "أين وضعت الكتاب؟"

- "على الطاولة".

فالمحذوف من الجملة الثانية، هو: "وضعت".

لقد أدرك النحاة، والبلاغيون، والمفسرون أهمية "الحذف"، ودوره في تحقيق التماسك النصي؛ فلا تكاد تجد مؤلفاً، في "علم النحو"، وفي "علم المعاني"، وكذلك في "إعجاز القرآن" و"تفسير القرآن" إلا يتحدث عن هذه الظاهرة. قال سيوييه: "اعلم أنهم مما يحذفون الكلم، وإن كان أصله في الكلام غير ذلك، ويحذفون، ويعوضون، ويستغنون بالشيء عن الشيء، الذي كان أصله، في كلامهم: أن يستعمل حتى يصير ساقطاً"²⁴. وقال (الجرجاني)، في "دلائله": "هذا باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك انطق ما تكون، إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً، إذا لم تبين"⁽²⁵⁾.

ومن هنا، كان الأصل في الكلام "الذكر"، وقد يعدل عنه إلى "الحذف"، وهذا العدول من الأصول إلى الفروع، يجري في اللفظ دون المساس بالمعنى، وشرط وقوعه في اللغة: أنه "لا يتم إلا إذا كان الباقي في بناء الجملة، بعد الحذف، مغنياً في الدلالة، كافياً في أداء المعنى، وقد يحذف أحد العناصر؛ لأن هناك قرائن "معنوية"، أو "مقالية"، تومئ إليه، وتدلّ عليه*، ويكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره"²⁶. وعلى هذا، فإن المحذوف من الكلام، لو بقي، فإنه يشكّل خللاً، إذا وجد على مستوى النص، ويتمثل في: حشو، وزيادات لا طائل من ورائها، خاصة إذا وجد في النص أو في محيطه، من القرائن "الحالية" و"المقالية" ما يغني عنها⁽²⁷⁾.

1.3.2.2. أقسام الحذف:

يقسم الحذف إلى ثلاثة أقسام*:

1.1.3.2.2. الحذف الاسمي: وهو لا يقع إلا في الأسماء المشتركة، نحو قوله تعالى: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: 81-82]، والتقدير: "فريق الذين آمنوا..".

2.1.3.2.2. الحذف الفعلي: ويكون داخل المركب الفعلي، نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام: 64]؛

3.1.3.2.2. الحذف داخل شبه الجملة: مثل قولك:

- "كم ثمنه؟"،

- "خمس جنيهاً".

والتقدير: "ثمنه: خمس جنيهاً".

2.3.2.2. أشكال الحذف:

للحذف أشكال كثيرة⁽²⁸⁾، أبرزها، من حيث الاستعمال:

1.2.3.2.2. الاكتفاء: وهو "أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط، فيكتفي بأحدهما عن الآخر، ويختص بالارتباط العطفى غالباً"، مثال ذلك، قوله تعالى: ﴿سَرَابِيلٌ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ [النحل: 81]؛ وقد حذف متلازم الحر، وهو "البرد".

2.2.3.2.2. الضمير والتمثيل: وهو "أن يضم من القول المجاور، لبيان أحد جزأيه، ومنه: قول القائل:

"النبيد مسكر؛ فهو حرام"؛ فهو قد أضمّر قول: "كل مسكر حرام"..⁽²⁹⁾.

3.2.3.2.2. الاحتباك (الحذف المقابلتي): وهو: أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من واحد منهما مقابله، لدلالة الآخر عليه، مثال ذلك، قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: 45]، وتقدير الآية: من عمل صالحاً، فعمله لنفسه، ومن أساء، فإساءته عليه.

4.2.2. رابعا: الاستبدال - Substitution:

هو وسيلة من وسائل التماسك النصي، عرّفه اللغويون بأنه: "تعويض عنصر في النص بعنصر آخر، وصورته المشهورة: إبدال لفظة بكلمات أخرى، وهو يتمّ - على المستوى النحوي والمعجمي - داخل النص، وهو بذلك يختلف عن الإحالة، التي لا تقع إلا على المستوى الدلالي.."⁽³⁰⁾. يقول إبراهيم خليل في هذا: "والفرق بين الاستبدال والإحالة: أنّ الثاني يحيل على شيء غير لغوي، في أوقات معينة، في حين أنّ الاستبدال، يكون بوضع لفظ مكان لفظ آخر؛ لزيادة الصلّة بين هذا اللفظ، والذي يجاوره، وذلك اللفظ، الذي يدلّ على الشيء، الذي تقدّم ذكره"⁽³¹⁾. ومن أمثلة الاستبدال المعجمي، قولنا: "دراجتي قديمة؛ يجب أن أشتري أخرى" فكلمة "أخرى"، عوضت كلمة "دراجتي"، وقامت مقامها، ممّا زاد في تعلّق الجملة الثانية بالأولى، ومن هنا، يسهم الاستبدال في تماسك النص.

1.4.2.2. أقسامه:

ينقسم الاستبدال إلى ثلاثة أقسام:

- استبدال اسمي: وهو تعويض اسم باسم؛
 - استبدال فعلي: وهو تعويض فعل بفعل؛
 - استبدال قولي: وهو تعويض الأثر من كلمة (جملة أو أكثر من جملة).
- أما عن أهميته، فالاستبدال له دور مهمّ في تماسك النصوص، وانسجامها، ذلك من خلال تعلّق العنصرين: المستبدل، والمستبدل منه، وهي علاقة قبلية بين عنصر سابق في النص، وعنصر لاحق فيه، ومن هنا، تحصل الاستمرارية في المعنى الموجود في النص، وهذا ما يسمى - عند (هاليداي، ورقية حسن) - بـ "حسن الاستبدال"، حيث ينبغي البحث

عن الاسم أو الفعل أو القول، الذي يملأ هذه الثغرة في النص السابق؛ أي: إنّ المعلومات التي تمكّن القارئ من تأويل العنصر الاستبدالي، توجد في مكان آخر في النص⁽³²⁾.

5.2.2. خامسا: الوصل - Conjonction:

يشير مصطلح الوصل إلى الأدوات الرابطة بين أجزاء النص، بوصفه: متتاليةً متسلسلة، خطية، ومتعاقبة؛ تستند إلى جملة من العناصر الرابطة في حدود ما يضمن وحدتها وتماسكها⁽³³⁾. ويختلف الوصل اختلافا تاما عن بقية وسائل التماسك النصي، من حيث: إنه يصل وصلا مباشرا بين جملتين أو مقطعين في النص⁽³⁴⁾.

1.5.2.2. أهميته:

تأتي أهمية "الوصل" من كون النص عبارة عن مجموعة من الجمل، أو المتواليات المتعاقبة، وأنه لا بدّ، لكي تدرك كبنية متماسكة، من توقّر أدوات رابطة، أو كما يطلق عليها اللغويون "الأدوات المنطقية"، وهذا، لدورها في تحديد أنواع التعاليق بين الجمل، ولإسهامها - أيضا - في بناء النص بناء منطقيا⁽³⁵⁾.

2.5.2.2. أنواعه:

صنف كل من (هاليداي، ورقية حسن) الوصل إلى ما يأتي⁽³⁶⁾.

- الوصل الإضافي: يقوم هذا الوصل بربط الأشياء، التي لها الحالة نفسها، وغالبا ما يشار إليه بواسطة الأدوات التالية: "الواو"، "أيضا"، "أو"، "أم". وتندرج تحت علاقة الإضافة عبارات تحمل معنى التشابه الدلالي على نحو متشابه، مثل: "مثل هذا"، "بنفس الطريقة".. ويمكن - كذلك - إدراج كلمات دالة على الشرح والتفسير، مثل: "يعني"، "ما أقوله هو: .."، أو الكلمات الدالة على التمثيل، ك: "مثلا"، "على سبيل المثال"، أو الكلمات الدالة على التخصيص، مثل: "على نحو خاص"، "خاصة..". كما يمكن

استخدام المقارنة المنفية، عندما يكون المعنى غير متشابه، ويعبر عن ذلك بالعبارات التالية: "من ناحية أخرى"، و"على العكس"، و"بالمقابل" ..

- الوصل الاستدراكي أو العكسي: يسميه (دي بوجراندي - De Bangrande): "وصل النقيض"، لكون العلاقة بين الأشياء متنافرة، ومتعارضة في عالم النص. ومن أدوات هذا النوع: "لكن"، "مع ذلك"، "على الرغم من"، "من ناحية أخرى"، "على عكس ما هو متوقع" ...

- الوصل السببي: يعبر عنه من خلال هذه الكلمات: "لهذا"، "بهذا"، "لذلك"، "لأن"، "نتيجة لـ"، "سبب لـ" ..

- الوصل الزمني: يعدّ هذا النوع من الأدوات التي تؤدي إلى التماسك النصي، وترتبط العلاقة الزمنية بين الأحداث عن طريق علاقة التتابع الزمني؛ أي: التتابع في محتوى ما قيل. ويعبر عن هذه العلاقة بالأدوات التالية: "ثم"، "بعد ذلك"، "في ذات الوقت"، "حالا"، "في هذه اللحظة" ..

وتعبر هذه العلاقة عن الحاضر، والماضي، والمستقبل، وعن البعد الزمني الموجود في عملية الاتصال ..

وهناك من اللغويين من حاول تصنيف "أدوات الربط" اعتمادا على أبعادها الدلالية، باعتبارها تصنيفا تقريبا فقط، خاصة، وأنّ العديد من الروابط تتداخل في معانيها، حيث يمكن أن يكون للربط أكثر من معنى، ومثال هذا التصنيف:

- صنف يفيد الإضافة: الواو، أو، أيضا، بالإضافة ..
- صنف يفيد التعداد: أولا، ثانيا، أخيرا، في النهاية ..
- صنف يفيد الشرح: لأن، بمعنى، بعبارة أخرى ..
- صنف يفيد الربط العكسي: لكن، غير أن، عكس ذلك ..

- صنف يفيد السبب، ونتيجته: إذًا، وعليه، بناءً على ذلك، نتيجة لذلك..
 - صنف يفيد الاختصار: بإيجاز، باختصار، على العموم..
 - صنف يفيد التعاقب الزمني: قبل ذلك، بعد ذلك، ثم، أثر ذلك.. (37).
- وتجدر الإشارة، بخصوص الأدوات الرابطة، أن نسبة توظيفها، تحددها طبيعة النص، وموضوعه؛ فالنص الفلسفي - مثلاً -، يقتضي توظيف أدوات تختلف عن تلك التي توظف - عادة - في نص أدبي سردي. وأيضاً كان نوع النص، فإنّ الربط، أو الوصل بهذه الأدوات، يعدّ عامل انسجام أساسياً بما يتيح من تقوية العلاقات الجُمليّة، وتمتين التماسك بين المتواليات النصية(38).

هوامش:

- 1- حسن سعيد البحيري: علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)، الشركة المصرية للنشر لنجمان، القاهرة (1977)، ص: 86.
- * تكمن أهمية التماسك في: جعل الكلام مفيداً - وضوح العلاقة في الجملة - عدم اللبس في أداء المقصود - عدم الخلط بين عناصر الجملة.
- 2- الزمخشري: تفسير الكشاف، تح، خليل مأمون، دار المعارف، بيروت، ط. 3، 2009-، 2: 213.
- 3- صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي (بين النظرية والتطبيق)، دار قباء للطباعة والنشر، ط. 1، 2000، 1: 95.
- 4- الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تح: محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط. 2، 1998، ص: 54.
- 5- صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، دار المعارف، القاهرة، 1992، ص: 261.

- ⁶ - محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص (مجالات تطبيقه)، الدار العربية للعلوم - ناشرون - منشورات الاختلاف، الجزائر، ط.1، 2008، ص: 88.
- ⁷ - محمد خطابي: لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، الدار البيضاء، ط.3، 2012، ص: 24.
- ⁸ - الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة (2006)، 3: 9.
- * في ذلك إشارة إلى الإحالة المقامية البعدية.
- ⁹ - صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، مرجع سابق، 1: 21.
- ¹⁰ - الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص: 48، 49.
- ¹¹ - المرجع السابق، ص: 22.
- ¹² - سيويو: الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط.3، 1988،
- ¹³ - ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تح: محي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة، ؟: 458.
- ¹⁴ - ينظر: محمد الخطابي: لسانيات النص، مرجع سابق، ص: 17.
- ¹⁵ - أبو علي الطوسي: مجمع البيان في تفسير القرآن، 4: 56.
- ¹⁶ - سيويو: الكتاب، مصدر سابق، 1: 178.
- ¹⁷ - ابن هشام: مغني اللبيب، مصدر سابق، ينظر هامش 2: 106..
- ¹⁸ - ينظر: صبحي الفقي: علم اللغة (بين النظرية والتطبيق)، مرجع سابق، 1: 145.
- ¹⁹ - محمد خطابي: لسانيات النص، مرجع سابق، ص: 18.
- ²⁰ - الأزهر الزناد: نسيج النص (بحث فيما يكون فيه الملفوظ نصا)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط.1، 1933، ص: 116.
- ²¹ - بهاء الدين عبد الله بن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: يوسف الشيخ بقاعي، دار الفكر، بيروت، 1994، ص: 185.
- ²² - ابن منظور: لسان العرب، مادة (ح ذ ف)
- ²³ - دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، ص: 301.

- ²⁴ - سيويو: الكتاب، مصدر سابق، 1: 24، 25.
- ²⁵ - الجرجاني: دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص: 146.
- * سبقه في هذا ابن جني، إذ يقول: "قد حذفت العرب الجملة، والمفرد، والحركة، وليس شيئاً من ذلك، إلاً بدليل عليه" ينظر: الخصائص، تح: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 2، 2003، 2: 140.
- ²⁶ - محمد حماسة عبد اللطيف: بناء الجملة العربية، دار الشروق، القاهرة، ط. 1996، ص: 208.
- ²⁷ - محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص، مرجع سابق، ص: 93.
- * ومن علماء النص من يرى أن الحذف في العربية قسمان: قسم يتعلق ببنية الكلمة، كحذف حركة أو صوت من الكلمة أو حذف حرف، وقسم يتعلق ببنية النص، كحذف كلمة أو جملة أو أكثر من جملة. ينظر: صبيحي الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، 1: 193.
- ²⁸ - الزركشي: البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق، 3: 193.
- ²⁹ - المصدر نفسه، 3: 193.
- ³⁰ - ينظر: محمد خطابي: لسانيات النص، مرجع سابق، ص: 19، كما ينظر: محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص، مرجع سابق، ص: 91.
- ³¹ - خليل إبراهيم: الأسلوبية ونظرية النص، مرجع سابق، ص: 138.
- ³² - محمد خطابي: لسانيات النص، مرجع سابق، ص: 19.
- ³³ - المرجع نفسه، ص: 23.
- ³⁴ - محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص، مرجع سابق، ص: 94.
- ³⁵ - الأزهر الزنّاد: نسيج النص، مرجع سابق، ص: 37.
- ³⁶ - ينظر: محمد خطابي: لسانيات النص، مرجع سابق، ص: 23.
- ³⁷ - محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص، ص: 95.
- ³⁸ - المرجع نفسه، ص: 96.